البناء
السنة الثامنة / السبت / 28 أيار 2016 / العدد 2088
Eighth year / Saturday / 28 May 2016 / Issue No. 2088

تنصُّل واشنطن من اتفاق وقف العمليات

■ حميدي العبدالله

التصريحات التي أدلى بها الناطق باسم الخارجية الأميركية والتي طالب فيها بوقف إطلاق نار شامل في سورية، وعدم تحديد سقف زمني لفصل مواقع جبهة النصرة عن بقية مواقع التنظيمات الأخرى، يعني شيئاً واحداً هو تنصّل الولايات المتحدة من الاتفاق، بعدما نجحت في تحقيق جملة من الأهداف عبر هذا الاتفاق:

- الهدف الأول، وقف زحف الجيش السوري وحلفائه الذي كاد أن يسيطر على مدينة حلب والمساحة الأوسع من ريفها، كما أنّ هذا الزحف كاد أن يدخل التخوم الإدارية لمحافظة إدلب بعد تحريره الغالبية العظمى من ريف اللاذقية.

- الهدف الثاني، إتاحة الفرصة للجماعات المسلحة لالتقاط أنفاسها وتجميع قواها، ورصّ صفوفها، والحصول على مزيد من الأسلحة من الدول الداعمة، وتدفق المزيد من المقاتلين عبر الحدود التركية على وجه الخصوص.

- خلق وقف إطلاق النار وضعاً دفع روسيا إلى سحب الجزء الأساسي من قوتها الجو فضائية التي كان لها الدور الكبير في تحقيق المكاسب الميدانية التي حققها الجيش السوري وحلفاؤه.

وعندما أدركت الولايات المتحدة أنّ اتفاق وقف العمليات سمح للجيش السوري وحلفائه بحشد قواتهم على الجبهات التي ينتشر فيها داعش، وحقق مكاسب كبيرة بعد تحرير تدمر والقريتين والتلال الهامة المحيطة بهما، أوعزت الولايات المتحدة مباشرة، وعبر حلفائها في المنطقة، إلى الجماعات المسلحة للتصعيد وتوظيف اتفاق وقف العمليات لمصلحتها.

عندما يطالب الناطق باسم الخارجية الأميركية بوقف إطلاق نار شامل، ألا يعني هذا وقف ملاحقة ومحاربة التنظيمات الإرهابية بما في ذلك تنظيم داعش الذي يسيطر على أكثر من 70% من الجغرافيا السورية الواقعة خارج نطاق سيطرة الدولة؟

وعندما يقول الناطق باسم الخارجية الأميركية أن لا سقف زمنياً للفصل بين مواقع جبهة النصرة وبقية التشكيلات المسلحة، ومعروف أنّ جبهة النصرة غير مشمولة بقرار وقف العمليات، وهي أيضاً لا تلتزم به، ألا يعني ذلك تجميد عمل الجيش السوري وحلفائه بذريعة الالتزام الشامل بقرار وقف العمليات، وبذريعة صعوبة الفصل بين مواقع التنظيمات الملتزمة بوقف إطلاق النار وجبهة النصرة، مقابل إطلاق يد الجماعات المسلحة، بما في ذلك جبهة النصرة لمهاجمة مواقع الجيش السوري وحلفائه، على غرار ما حصل في خان طومان والعيس وريف اللاذقية، بمعزل عن نجاح هذه المجموعات هنا وفشلها هناك؟

واضح أنّ الولايات المتحدة لم تعد معنية باتفاق وقف العمليات، وجلّ ما تسعى إليه هو الالتفاف على هذا الاتفاق، وتحويله إلى سلاح يعمل باتجاه واحد، هو اتجاه ضبط ردود فعل الجيش السوري وحلفائه.

الكرة الآن باتت في مرمى روسيا الراعي الثاني للاتفاق.

تركيا وأميركا

- الكلام التركي عن نفاق أميركي يتكرّر منذ اعتماد واشنطن على تشكيل كردي كقوة مركزية في الحرب على «داعش».
- الأكراد الذي وافقوا على خيار واشنطن هم أنصار لحزب العمال الكرستاني الذي يقلق أنقرة.
- واشنطن أنفقت مالاً وجهداً وسياسة على معارضة سورية تدعمها تركيا والسعودية تقوم بالمهمة، فكان الجواب لا حلّ إلا بالنصرة وهو حلّ غير قابل للتسويق دولياً.
- تجربة واشنطن مع حلفائها التركي والسعودي وجماعتهم أنهم يريدون منها ان تقاتل عنهم، وأن تتبنى النصرة، وأن تتمسك بهدف إسقاط الرئيس السوري، وهي ثلاثة مستحيلات على واشنطن.
- مشروع واشنطن لتركيا والسعودية وجماعتهما هي تعالوا نوقف الحرب على الرئيس والجيش في سورية، ونرتضي بحكومة موحدة مع الدولة، ونفك الإشتباك مع النصرة، ونحشد قواتنا لقتال داعش، ونوفر شروط الفوز بالمناطق التي يسيطر عليها لمفاوضة متوازنة على الحكومة، وتالياً نمسك بوضع مناسب للإنتخابات الرئاسية والنيابية.
- رفض تركيا والسعودية وسيرهما بخطى بعيدة أنتج الرهان الأميركي على الأكراد وأشعل الأزمة التركية الأميركية.
- لن تتراجع واشنطن وسيصير أردوغان بلا غطاء.
- شمال سورية مستقبل تركيا.

التعليق السياسي

ولأن في التاريخ بدايات المستقبل...

تُخصّصُ هذه الصفحة صبيحة كل يوم اثنين، لتحتضنَ محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبهم وتاريخه التماعات نضالية هي خطوات راسخات على طريق النصر العظيم.

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمّة، استمرار مادي روحي راح يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفئ الشمس.

كتابة تاريخنا مهمة بحجم الأمة.

معركة الاستقلال بعين وقلم الرفيق توفيق رافع حمدان

إعداد: لبيب ناصيف

في كتابه «سيرة ومسيرة» يورد الرفيق توفيق رافع حمدان[1] قصة معركة الاستقلال واستشهاد الرفيق سعيد فخر الدين.

ننشرها بالنص الحرفي لفائدة الاطلاع.

« كلما أطلّ شهر تشرين الثاني من كل سنة ترامت لي أيام مراحل الاستقلال. ففي أوائل تشرين الثاني عام 1943 اعتقل المستعمر الفرنسي بعض أركان الدولة اللبنانية حينذاك بشارة الخوري– رياض الصلح– كميل شمعون– وعادل عسيران في قلعة راشيا ولم يستطع اعتقال البعض الآخر: المير مجيد أرسلان، صبري حماده وحبيب أبو شهلا الذين توجه بهم المير مجيد الى بلدة بشامون في قضاء عاليه وقبل وصولهم اليها توقفوا في ساحة بلدة عين عنوب... وما ان علم المواطنون حتى تجمهروا حول سيارة المير مستفسرين الأمر. فحيّاهم وطلب منهم موافاته الى بشامون وهناك علموا حقيقة الوضع بالتفصيل، وعمّ الخبر المنطقة وبدأت تتقاطر الوفود. فلم تمض ساعات حتى كانت بشامون تعجّ بالشيوخ والشباب والأشبال من جميع مناطق عاليه والشوف والجرد. أما لماذا اختار المير مجيد بشامون ملجأ له ولرفاقه، فلأنّ الطريق لم تكن نافذة وليس لها مدخل إلاّ من عين عنوب ولأنّ المير له صداقات فيها. امتنها مع أبو معروف توفيق سعيد عيد، ولأنّ بلدة سرحمول جارة بشامون تعتبر قلعة محصنة يصعب الوصول اليها أو خرقها. وعلى الأثر قطعت الطريق المؤدية الى بشامون من عين عنوب عند محلة السنديانة الشهيرة، سنديانة الاستقلال، التي شهدت معركة الاستقلال ولا تزال الشاهد الحي على بطولة الثوار من الأشبال حتى الشيوخ. وبقطع الطريق لم يعد بامكان جند المستعمر الوصول الى مقرّ «الحكومة المؤقتة» في بشامون. وتوالت وفود المسلحين تصل الى عين عنوب واذكر أنّ أول الواصلين من العسكريين كان البطل القومي الاجتماعي أديب البعيني ونعيم مغبغب ومن المواطنين الشيخ أبو أمين فريد موفق شقيق الشهيد معروف موفق[2] الذي أعدمته حكومة الاستقلال في ما بعد. واذكر يوم وصل فجأة المناضل العسكري عساف كرم احد قادة القوميين الاجتماعيين ظنه البعض ممّن لا يعرفونه شخصاً أجنبياً نظراً لبشرته الشقراء. ومن الأمور التي لا تزال عالقة في ذاكرتي ذلك الاندفاع العفوي من المواطنين. فقبل أن تنتظم الأمور ويتأمّن المطبخ لغذاء المقاتلين كنت ترى أفقر مواطن في البلدة يحرم لقمة العيش عن أولاده ليقدّمها للثوار الذين تركوا أولادهم وعيالهم وجاؤوا ليمنعوا المستعمر من تحقيق أهدافه.

« وفي الواقع لم يكن الشعب مؤهّلاً للقيام بثورة أو لصدّ جيش احتلال فيه المرتزقة وغيره وغيره... ولم يكن السلاح متوافراً عند المواطنين. اذكر أنّ شباناً لايملكون بارودة - مارتينه - وعندهم سلاح صيد - جفت - حملوه وذهبوا للمعركة، ومنهم من نبش بارودته من تحت التراب حيث كان يخبّئها وقد تآكلها الصدأ ومن المحتمل ألا تطلق رصاصها..! أما العسكريون فكانوا قلائل أبرزهم كما قلت الجندي الفار المناضل القومي أديب البعيني الذي حمل عبئاً ثقيلاً في المعركة. فعليه تقع مسؤولية تنظيم الشباب، وقليلون جداً من لديهم أية خبرة في هذا المضمار. فلم يهدأ ولم ينم.

« وأذكر بعد حوالي عشرة ايام من بدء «الثورة» رافقته الى أحد البيوت في البلدة وطلب أن يغسل رجليه ولما خلع «جزمته» كانت قدماه أشبه «باللحم المسلوق» فقد كانت المرة الاولى التي يتسنى له نزعها وغسل رجليه منذ بدء المعركة... وعندما كانت قوات الاستعمار تحاول الاقتحام كان أديب البعيني وحده يطلق من «مترليوزه» طلقات عدة من أماكن عدة ينتقل اليها بسرعة فائقة ليوهم العدو أنه أمام قوة ومعدات لا يستهان بها. والواقع كان «مترليوز» أديب يتيماً... فكانت القوات تعود لتزيد قوتها وتعيد الكرّة. قد يُقال انّ السياسة واجتماع «سبيرس» مع المير مجيد وحبيب ابو شهلا في بيت الاستاذ أمين خليفة في عين عنوب الذي رأيناه نحن، واعتقد أنّ هناك صورة تذكارية للاجتماع مكبّرة ومعلّقة على حائط ذلك البيت، قد يكون الاجتماع ذلك مهدّ سياسياً لإنهاء الانتداب.

ولكن بالنسبة للمواطن الذي حمل سلاحه بل «حمل دمه على كفه» حسب التعبير فكان على استعداد أن يضحّي بكلّ ما يملك. وكان البعض يؤمن أن الدماء التي تجري في عروقه هي ملك للأمة متى طلبتها وجدتها. وها هو موعد الاستحقاق لكي نتخلص من المستعمر، ومن بين المندفعين كان القومي الاجتماعي الرفيق سعيد فخرالدين، فعندما أعادوا الكرة وجاؤوا من جهة بلدة عيتات، كنا نحن أول من شاهدنا المصفحات تتجه من عيتات، وذلك لأنّ بيتنا مقابل لبلدة عيتات، فركضت أنا وأخي لنخبر المقاتلين بمجيئهم (ايّ الفرنسيين) حتى لا يؤخذوا على حين غرّة... ولليوم أندهش عندما أفكر في تلك السرعة التي وصلت بها الى محلة السنديانة ومنها لخندق أبو عتمة أول بشامون حتى عمّمنا الخبر على جميع المقاتلين... ولما وصلت مصفحات العدو الى قرب السنديانة أمام حاجز الحجارة محاولين فتح الطريق للوصول الى بشامون مقرّ الحكومة وعندما ترجّلوا لإزاحة الحجارة قتل لهم أكثر من قتيل... ولكنهم استمروا في محاولتهم وتقدّموا لنشل الجثث فما كان من الرفيق سعيد فخر الدين الذي كان محتمياً خلف شجرة الزيتون الا ان شرع القنبلة في يده محاولاً قذفها على المصفحة غير أنّ رصاص العدو كان أسرع منه فسقط شهيداً.

«ساحة مجد نزلوا عليها تنين
هيّ حديد مصفح وقلبو حديد»

« وانسحبت المصفحة الى حيث أتت وعندما تجمّع أهالي البلدة لدفن الشهيد أمام بيته أطلق جنود المستعمر الرصاص على المجتمعين من أول قرية عيتات... ولا تزال الحفر التي أحدثتها تلك الرصاصات في حجارات بيت سعيد فخر الدين ظاهرة لليوم.

« بعد هذه المعركة وبعد فشل المستعمر من الوصول الى مقرّ الحكومة الموقتة الذي اتخذته في بيت المواطن حسين الحلبي، وهناك صيغ العلم اللبناني، أرغم المستعمر على إطلاق سراح المعتقلين في راشيا ليعودوا الى تسلم السلطة في 22 تشرين الثاني سنة 1943 واعتبار لبنان بلداً حراً مستقلاً.

« ولأنّ الدولة لم تقم بواجبها نحو المنطقة والبلدة التي قدّمت شهيد الاستقلال الوحيد فقد كنا في بعض السنوات نتنادى، الفاعليات والنوادي والبلدية، لإحياء مهرجانات بهذه الذكرى وأول مرة كانت تمثيلية لأديب الحداد (أبو ملحم)[3] «عرس لبنان» مُثلت في عين عنوب، وفي سنة 1968 أقمنا مهرجاناً خطابياً في باحة قصر الأمير مصطفى أرسلان - الميدان - وكان لي شرف التكلم باسم البلدية وكنت أحد أعضائها، ومما قلته: اننا نسجل تقصيراً على الدولة اللبنانية ونطلب منها ونعتبره واجباً أن تضع في برنامجها السنوي لهذه المناسبة زيارة مقرّ حكومة الاستقلال الموقتة في بشامون وزيارة ضريح الشهيد سعيد فخر الدين في عين عنوب، فإذا كان في قلعة راشيا اعتقل المستعمر بعض أركان الدولة اللبنانية فإنّ أهل بشامون وعين عنوب فتحوا بيوتهم وقلوبهم لاستقبال بقية أركان الدولة وضحّوا بأرواحهم فدى الاستقلال.

وختمت كلمتي بقطعة من الشعر القومي:

لما علينا الكون شوهر من بعيد
وشاف بسما لبنان بهجة عيد
تفاجأ تساءل هالحدث نوعه فريد
تنصّت سمع أصوات ذكرى تستعيد
ذكرى نفير الحق في وجه العبيد
يعلن إرادة شعب: يا استعمار حيد
ذكرى البطولة تزغرد ويهجم «سعيد»
هجمة بطل مؤمن بإيمانه عنيد
ذكرى الشهادة الكوّنت إلنا رصيد
بين الأمم... والشعب أصبح سيد
ومن وقتها التاريخ سجل من جديد
عيد استقلال لبنان المجيد
وبعدنا ومنضلّ فدى استقلالنا
في كلّ رمشة عين منقدّم شهيد

يبقى أن نذكر أنّ البطل البعيني قتل داخل حرم القصر الجمهوري في عهد بشارة الخوري بيد سليم الحرّان أحد أزلام الرئيس، وانّ مرسوم إقامة نصب تذكاري للشهيد سعيد فخر الدين رقمه 3456 تاريخ 13 – 9 – 1980 لا يزال حبراً على ورق.

**

توفيق رافع حمدان (1927–2009)، نقلاً عن مؤلفه «سيرة ومسيرة»
ولد الرفيق توفيق رافع حمدان بتاريخ 26 شباط 1927 في عين عنوب.
تعلم في مدرسة المطران الانكليكانية في عين عنوب.
انتمى الى الحزب السوري القومي الاجتماعي سنة 1943.
تعرّف على الزعيم الخالد انطون سعاده سنة 1947 فترة مذكرة التوقيف بحقه في بيته في عين عنوب.
أثناء إعلان الثورة القومية الاجتماعية الأولى كان موظفاً في المساحة في مزرعة يشوع – المتن.
بعد إعدام الزعيم أنطون سعاده ورفاقه حاول اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية رياض الصلح بتاريخ 9/3/1950.
حكم عليه بالاعدام في 24/5/1950 وفي 2/6/1950 استبدل الحكم بالسجن المؤبد. أسّس مع رفاقه في السجن مدرسة وزاد علومه وثقافته ودرس المحاسبة بالمراسلة. أخلي سبيله مع رفاقه القوميين الاجتماعيين في 11/9/1957.
تزوّج من الرفيقة عفاف نايف شجاع التي كانت تعاهدت وإياه على رفقة العمر في السجن أو خارجه.
بنى أسرة قومية اجتماعية بامتياز من رفيقة و4 رفقاء.
تحمّل مسؤوليات حزبية فمنحه الحزب وسام الواجب.
من مؤلفاته قصائد شعرية صدرت في ديوان «قصائد من حياتي» وقّعه في آب 2005 وكتاب مذكرات تحت عنوان «سيرة ومسيرة».
توفي في 3 آب 2009 وأقيم له مأتم شعبي وحزبي حاشد ألقيت فيه كلمات أشادت بمناقبه ونضاله.

هوامش

(1) توفيق رافع حمدان: تميّز طيلة حياته الحزبية بالجرأة والصدق والشفافية وبالتزام عقيدة الحزب وقواعده الدستورية، والمناقبية في كلّ مواقفه. شدّتني إليه اواصر المحبة والتقدير، وكنت أكنّ له الكثير من الاحترام وأرتاح الى ما كان يمثل من قيم النهضة.

(2) معروف موفق: من «دير قوبل». شهيد الثورة القومية الاجتماعية الأولى. للاطلاع على النبذة المعمّمة عنه الدخول الى قسم «من تاريخنا» على موقع شبكة المعلومات السورية القومية الاجتماعية www.ssnp.info

(3) عساف كرم: من بلدة «زبوغا» شهيد الثورة القومية الاجتماعية الأولى. للاطلاع على النبذة المعمّمة عنه الدخول الى قسم «من تاريخنا» على الموقع المذكور آنفاً.

مؤسسة الوفاء

في النبذة المعمّمة عن الأمين الراحل محمد حمزة شاتيلا، انه كان ترأس «مؤسسة الوفاء» الخاصة بالإهتمام بأسر شهداء الحزب.

هذه الصورة التي التقطت أثناء جلسة لمؤسسة الوفاء، تسلمناها من الأمين محمد جبلاوي، ويبدو فيها من اليمين الى اليسار:

الامناء: محمد العبد بيضون، ماجد الناطور، داوود باز، محمد حمزة شاتيلا، مصطفى عز الدين، ومحمد جبلاوي.

الأمين محمد العبد بيضون: شاعر، من بنت جبيل، شارك في الثورة الانقلابية، حُكم عليه وسجن. خرج مع العفو في شباط 1969، متابعاً نشاطه الحزبي وتولّيه للمسؤوليات.

الأمين ماجد الناطور: عمّمنا عنه نبذة في الفترة الأخيرة، للاطلاع الدخول الى قسم «من تاريخنا» على موقع شبكة المعلومات السورية القومية الاجتماعية www.ssnp.info .

الأمين داوود باز: سنعمّم عنه نبذة تضيء على تاريخه الحزبي النضالي الطويل.

الأمين محمد حمزة شاتيلا: عمّمنا عنه نبذة بتاريخ 29/10/2014، مراجعة الموقع المشار إليه اعلاه.

الأمين مصطفى عز الدين: مراجعة ما نشرنا عنه على الموقع المذكور آنفاً.

الأمين محمد جبلاوي: ما زال رغم تقدّمه في العمر، ملتزماً، مؤمناً، يتابع أوضاع الحزب بكل اهتمام.

29 أيار 1945 يوم العدوان الفرنسي على مجلس النواب السوري والمادة 78 من ميثاق الأمم المتحدة: دم شهداء حامية المجلس أسهم في صياغة المادة أثناء مؤتمر سان فرانسيسكو

■ د. جورج جبور*

هل ثمة علاقة بين العدوان الفرنسي على مبنى مجلس النواب السوري يوم الثلاثاء في 29 ايار 1945 وبين المادة 78 من ميثاق الأمم المتحدة؟ هذه الكلمات المختصرة مخصصة لمحاولة الاجابة عن هذا السؤال.

الفائدة من الإجابة بالإيجاب واضحة من دواعي الاعتزاز الوطني السوري ان تستطيع حادثة ظلم تعرّض لها السوريون على أيدي المستعمر الفرنسي في الإسهام بإنتاج أثر عالمي تمثل في المادة 78 من ميثاق الأمم المتحدة. أذكر هنا انّ مواطني جنوب أفريقيا يشعرون بالاعتزاز لأنّ الأمم المتحدة اختارت يوم مذبحة شاربفيل يوماً عالمياً للقضاء على العنصرية. والأمثلة المشابهة كثيرة. ثم انّ من الطبيعي ألا نبالغ في أهمية الأمر الذي أخصص له هذه الأسطر، إلا انّ تذكره في يوم 29 ايار من كلّ عام يُشعر السوريين بمزيد من الارتياح الى النتيجة الإيجابية التي وصلوا اليها بسبب وقوف العالم معهم في مواجهة العدوان الفرنسي.

ولا لاحظ من البداية انّ القول بوجود علاقة بين العدوان على مبنى مجلس النواب وبين المادة 78 انما يعتمد على القرائن. ليس بين أيدينا ما يشبه ان يكون وثيقة رسمية بهذا الشأن. ليس بين أيدينا مذكرات شخصية من السوريين الذين شاركوا في صياغة الميثاق تتحدّث عن اثر 29 ايار في إنتاج المادة 78. اما الجهد البحثي المطلوب لتعميق القرائن فلم يبذل بعد، ولعلّ من المستحسن ان يبذل، واول الجهد البحثي سهل متوفر هنا في سورية، ألا وهو الرجوع الى جرائدنا اليومية في المكتبة الوطنية. اما أفضل الجهد فهو الرجوع الى وثائق مؤتمر سان فرانسيسكو، ولعلها متوفرة ورقياً في احدى المكتبات السورية الرسمية، لأنّ الامم المتحدة كانت حريصة، زمن الورق، على ان تكون وثائقها متوفرة في مكتبة واحدة على الأقل في كل دولة من الدول الأعضاء. ومن المرجح انّ عودتنا الى وثائق سان فرنسيسكو متيسّرة على نحو سهل في زمننا الالكتروني. الأسئلة التي ينبغي على الباحث الوصول الى إجابات عنها هي التالية: هل كان ثمة أصل للمادة 78 في مشروع الميثاق الذي وزع قبل المؤتمر؟ من صاغ المسودة الاولى للمادة؟ هل هو الوفد السوري، ولا سيما منه الدكتور فريد زين الدين؟ هل عارضت فرنسا بجدية صيغة المادة؟

أما الجهد البحثي الذي قمت به، والذي أدّى الى تولد القرينة، فهو مراجعتي لمحاضر جلسات مجلس النواب لدى مناقشة المجلس مسألة المصادقة على الانضمام الى منظمة الأمم المتحدة. شغلت تلك المناقشات اياماً في النصف الثاني من آب 1945.

ماذا تقول المادة 78؟ النص كما يلي: «لا يطبق نظام الوصاية على الأقاليم التي أصبحت أعضاء في هيئة الأمم المتحدة، إذ العلاقات بين أعضاء هذه الهيئة يجب ان تقوم على احترام مبدأ المساواة في السيادة».

المادة واضحة في هدفها. انها تريد الحيلولة دون تكرار خيبة أمل سابقة أعقبت إنشاء عصبة الأمم عام 1919. وعدت بريطانيا العرب بالاستقلال آنذاك، فاذا بها تقبل ان توضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. خشي السوريون، في ظلّ الأمم المتحدة الناشئة التي ابتدعت نظام الوصاية على الدول الضعيفة، خشي السوريون من ان يتحوّل وضعهم من دولة تحت الانتداب الى دولة تحت الوصاية. ذلك كان أحد الهموم التي رافقت الوفد السوري حين ذهب الى سان فرانسيسكو. ننظر اليوم الى ذلك الهمّ فلا نراه مبرّراً. كانت فرنسا قد أعلنت انتهاء الانتداب، اعلنته رسمياً مرات، بدءاً من صيف 1941. إلا انّ سورية المستقلة الناشئة، المعتادة على مكائد الأقوياء، كانت تخشى من الخطط الخبيثة. كان همّها في سان فرنسيسكو ان توضع في الميثاق، تحصيناً لاستقلالها، فكرة كالتي تضمّنتها المادة 78.

مبنى مجلس الشعب السوري

أين يدخل العدوان على مبنى المجلس في خضمّ المعركة الدبلوماسية السورية ضمن إطار مؤتمر سان فرانسيسكو؟

في 24 نيسان 1945 عقد المؤتمر المنشئ للأمم المتحدة، ودام شهرين. بعد أيام قليلة من انتصافه كانت حادثة العدوان. ولم تكن تلك الحادثة منفصلة عن التنافس البريطاني – الفرنسي الشرس على سورية، ذلك التنافس الذي تعود أسبابه المباشرة الى دخول القوات البريطانية سورية من جنوبها صيف 1941، وفي معيّتها قوات الجنرال ديغول، ايّ فرنسا الحرة. كانت المهمة مطاردة قوات حكومة فيشي. في ذلك الوقت، تبلورت لدى فرنسا فكرة انّ لها الحق في ان تكون المتفوّقة عسكرياً وسياسياً على بريطانيا في سورية، فهي الدولة المكلفة بالانتداب، وكانت الحقائق على الأرض تقول العكس. توترت الأجواء بين الدولتين الاستعماريتين، لا سيما منذ بدء تشكل جامعة الدول العربية برعاية بريطانية. كانت فرنسا ترى انّ مشروع الجامعة انما هو سحب لنفوذها من سورية ولبنان. اشتدّ شعور فرنسا بالخسارة منذ توقيع ميثاق جامعة الدول العربية، في آذار 1945. تصاعدت استفزازاتها العسكرية والسياسية، وتوّجت بإدخال مزيد من القوات السنغالية العاملة في إطار جيش الشرق. وجيش الشرق هذا لا يزال موجوداً حتى الآن، وهو يضمّ جنوداً من غير الفرنسيين، وبخدمتهم فيه تمنح لهم الجنسية الفرنسية. الا انّ كلّ ذلك ما كان له ان يقود الى تفجر الموقف لولا البطولة في تنفيذ القرار الوطني، تلك البطولة التي تجسّدت في ما قام به البطل الشهيد عبد الله باش، رئيس حامية المجلس، حين رفض تأدية التحية للعلم الفرنسي، متحدياً بذلك الطلب الفرنسي... وفي خضمّ واقعة العدوان كان أمران لهما اثرهما. الأمر الأول هو إنذار تشرشل الموجه الى ديغول بوقف العدوان وبإعطاء الأوامر للجيش البريطاني بالتدخل لوقفه. الأمر الثاني هو نجاح سعد الله الجابري، رئيس مجلس النواب، في الوصول الى بيروت حيث استطاع ان يكون موضع اهتمام إعلامي عالمي واسع، ترتب عليه تأمين إدانة عالمية واسعة للعدوان استجاب لها مؤتمر سان فراسيسكو الذي شغل بالموضوع. وفي الشروح التي قدّمها فارس الخوري، رئيس الوزراء، أثناء مناقشة التصديق على ميثاق الأمم المتحدة، كلام دقيق عن المدى الكبير من الاهتمام الذي أولاه المؤتمر لحادثة العدوان. ثم انّ فارس الخوري ختم بياناته في المجلس مطالباً بالتصديق على الميثاق، ختمها بكلمات واضحة عن المادة 78، اذ قال إنها: «وضعت خصيصاً من أجل سورية ولبنان».

أعود الى البداية: من المفيد في 29 أيار من كلّ عام، وفي الحدود الموضوعية المبيّنة أعلاه، ان نقول بأنّ دم شهداء البرلمان أسهم في إنتاج المادة 78 من الميثاق. تكاد القرينة تبلغ مقام الدليل الثابت في عالم الدبلوماسية الذي تقلّ فيه الأدلة الثابتة على اثر أحداث معينة في صياغات الوثائق والمواثيق.

وتبقى كلمة واحدة لا أشعر بالارتياح اذ أذكرها وذكرها واجب في كل حال... ليس في كتبنا الجامعية المتعاملة مع الامم المتحدة إشارة الى المادة 78 التي عرفني، عام 1964، بأنها «مادة سورية» استاذ في الجامعة الاميركية بواشنطن سبق له ان عمل مع وفد بلاده الى مؤتمر سان فرنسيسكو. أرجو من أساتذتنا الذي يقومون بتدريس الأمم المتحدة لطلابنا الجامعيين، ان يتكبّدوا مشاق الاطلاع على محاضر مجلس النواب ليتأكدوا من كلام بليغ قاله فارس الخوري – هذه المادة وضعت خصيصا من أجل سورية ولبنان –، ولينقلوا هذا القول الى طلابنا. اليس في تعليم طلابنا هذا العلم ما يزيد من اعتزازهم بوطنهم ومواطنيتهم؟ نعم!

*رئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة
drjabbour@gmai.com

اضاءات على عائلة بطرس معلوف

من العائلات التي قطنت رأس بيروت، وكان لسعاده علاقة وطيدة بها، ومحطّ محبة واحترام الوالدة والأبناء، ومنهم فوزي معلوف[1] الذي كان، طفلاً، يهرع الى سعاده ويتوجه اليه (عمو)، عائلة بطرس معلوف الذي كان أنجب من عقيلته السيدة نظيره معلوف كلاً من: فخري، رشدي، فايزة، حلمي، كمال وفوزي.

عنها هذه المعلومات:

أسس بطرس معلوف مدرسة في الطابق الأرضي من منزله قي قرية «المشرعة»، المجاورة لقريتي كفر عقاب وعين القبو.

شقيقه جبرائيل كان هاجر الى كوبا وحقق نجاحاً مالياً وحضوراً سياسياً بحيث كان من بين المرشحين لرئاسة الجمهورية.

بعد وفاة بطرس انتقلت العائلة الى رأس بيروت لتستقرّ في الطابق الثالث من بناية في شارع جان دارك (ما زالت قائمة لغاية تاريخه)، الى جانب تلك البناية كان سعاده استأجر غرفة في منزل جرجس حداد، بحيث كان يتردّد الى منزل بطرس معلوف ويرتاح الى العائلة، وبدورها كانت ترتاح إليه.

من غير المعروف لدى معظم القوميين الاجتماعيين انّ الرفيقة فايزة[2] التي كانت اول من تولى مسؤولية منفذ عام منفذية السيدات، كانت اقترنت من الرفيق فاضل انتيبا من مدينة حلب وحائز على دكتوراه في الهندسة. رزقت الرفيقة فايزة بـ:

عادل: الحائز على دكتوراه في مادة الفيزياء، مقيم في كندا.

أميمة: التي اقترنت من رمزي زين[3].

من جهتها اقترنت كمال[4] من شارل ابو شعر، وهو استاذ جامعي حائز على شهادة دكتوراه في الصيدلة.

هوامش :

(1) فوزي معلوف: كان في الثالثة من عمره عندما توفي والده. وهو تولى مسؤوليات حزبية منها منفذ عام الطلبة، رئيس مكتب عبر الحدود، وانتخب رئيساً لجمعية خريجي الجامعة الأميركية.

(2) فائزة معلوف انتيبا: حازت الرفيقة فايزة على شهادة الدكتوراه في التربية، وكانت تدرّس في الجامعة الأميركية.

(3) رمزي زين: والده الدكتور في التاريخ زين زين، الذي، بعد أن اقترن من امرأة من آل حاوي، استقرّ في ضهور الشوير، وهو من الطائفة البهائية.

(4) اطلق بطرس معلوف اسم «كمال» على إبنته، اذ كان قرر، تيمناً بكمال اتاتورك ان يُطلق اسمه على ولده الجنين، صبياً او بنتاً. وهذا الاسم (كمال) كان يسبّب إرباكاً كبيراً للابنة.

مدخل منزل بطرس معلوف – شارع جان دارك ..و خلفية المنزل